دور الأسرة في ترسيخ قيم المواطنة

د / حليلو نبيل
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

ABSTRACT

Based on that the interaction of the individual with the requirements of the society of rights and duties within the framework of what is known as citizenship and represents the values does not result in out of nowhere, the fact that this interaction is responsible for a range of formats the first one is the family, and for this came this article highlights the role values the citizenship of the individual as the value of equality, freedom and participation and other values... .

تمهيد

الأسرة هي عماد المجتمع وهي البوتقة التي تحيط بالفرد منذ ميلاده لتزوده بالقيم والمبادئ التي تساعده على التكيف مع المجتمع، وهي الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعة والاجتماعية، وهي أكبر من كونها مجرد وسيلة لتحديد النسل وتربية الأبناء وإعدادهم للقيام بدورهم في الحياة الاجتماعية، فهي كجماعة وظيفية تزود أعضائها بكثير من الإشباعات الأساسية.

إن هذه المقومات التي تميز الأسرة عن باقي المؤسسات و الأنساق الأخرى جعلها تحتل مكانة رفيعة في المجتمع لكونها النظام الأمثل القادر على أن يلعب دورا مهما في تحقيق و تفعيل مفهوم المواطنة لدى أفرادها من خلال الوظائف المنوطة إليه، لا سيما إذا تمّ تأديتها بشكل صحيح و سوي .

إذا كان دور الأسرة يتجلى بوضوح في تشكيل و ترسيخ قيم المواطنة في الظروف العادية فإنّ دورها سيتضاعف لإضعاف كثيرة في ظل الظروف الراهنة التي تطغى فيها التحولات المتسارعة و المستمرة على الصعيد الدولي و المحلي.

وانطلاقا مما سبق سنحاول أن نعرض في هذا المقال دور الأسرة في ترسيخ و تعزيز قيم المواطنة لدى الفرد خاصة في مراحله المبكرة من حياته مثل قيمة: المساواة، المسؤولية ،المشاركة، الحرية و غيرها من القيم الأخرى التي تشكل ركائز المواطنة و عناصرها الأساسية.

أولا : تحديد المفاهيم المحورية

قبل الحديث عن دور الأسرة في ترسيخ قيم المواطنة وتعزيزها لدى الفرد وجب علينا أن نقف عند المفاهيم ذات الصلة بالموضوع بالتعريف و لو بشئ من الإيجاز من أجل توضيح معنى المفهوم وتجلية أبعاده .

1- الأسرة :

الأسرة في اللغة هي الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته[1]، وتطلق على الجماعات التي يربطها أمر مشترك، وجمعها أسر.[2]

- جاء في معجم **علم الاجتماع** أن الأسرة هي عبارة عن جملة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواج والدم والتبني ويتفاعلون معا.[3]

- وعرفها **القاموس الاجتماعي** بأنها : رجل وامرأة أو أكثر يرتبطون معا برابطة القرابة أو علاقات وثيقة أخرى، بحيث يشعر الأفراد البالغين فيها بمسؤوليتهم نحو الأطفال سواء كانوا هؤلاء أبناءهم بالتبني أم أبناءهم الطبيعيين.[4]

- ويعرفها **محمد بدوي** بأنها: "مجموعة من الأفراد يتفاعلون فيما بينهم وإذا كان التحليل في علم الحياة يقف على الخلية، ففي علم الإجماع، يقف على الأسرة باعتبارها الخلية الأولى للمجتمع.[5]

- ويعرف **الوحشي أحمد بيري** الأسرة في كتابه "الأسرة والزواج" بأنها "مجموعة أفراد يربطهم رباط الزواج، الدم أو التبني ويقيمون في منزل واحد ويتفاعلون ويتصلون ببعضهم البعض من خلال أدوارهم الاجتماعية".[6]

-وعرفها "**بوجاردس**" بأنها "جماعة اجتماعية صغيرة تتكون عادة من الأم والأب وواحد أو أكثر من الأبناء، يتبادلون الحب ويتقاسمون المسؤولية ليصبحوا أشخاصا يتصرفون بطريقة اجتماعية.[7]

-أما **وليام اجبرن** عرفها بأنها "منظمة نسبيا مكونة من الزوج وزوجته وأطفال أو بدونهم، ويرى أن العلاقات الجنسية والوالدية هي المبرر الأساسي لوجود الأسرة، وإنها من مميزاتها في كافة المستويات الثقافية". [8]

أما **دينكن ميتشل** فقد عرفها في معجمه بأنها "كل مجتمع قائم بالفعل يشمل على بناءات أسرية على أية صورة من الصور. فهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري، كما أنها الجماعة الأولية التي ينتمي إليها الطفل دون اختيار، والجسر الذي يوصله إلى المجتمع.[9]

من خلال التعاريف السابقة يمكن أن نستنتج أنه هناك مجموعة من الشروط الواجب توافرها في الجماعة الاجتماعية ليطلق عليها مفهوم أسرة، أهمها ما يلي:

- لابد من توافر رابطة الزواج بين أفراد الأسرة.
- لا بد من توافر سكن مشترك يجمع كل أفراد الأسرة تحت سقف واحد.
- هناك علاقات جنسية، حسب ما يقرها المجتمع، ويتوقع من بعض أفراد الأسرة حمل الأطفال ورعايتهم وتربيتهم.
- توافر علاقات بين أفرادها تمكنها من تمييزها عن الجماعات الأخرى.

وقبل أن ننتقل إلى المفاهيم الأخرى نود أن نشير أنه عند تناول موضوع الأسرة بالدراسة عند الكثير من الباحثين نلمح وجود مصطلح شائع التداول في هذا الشأن ألا وهو "العائلة". حيث يوظف العديد منهم هذا الأخير للتعبير بنفس الدلالة ما يوحى به مصطلح الأسرة، ولكن هذا غير صحيح لاختلافهما في أكثر من موضع ، فحسب **علي الرزاق حلبي** مثلا تختلف العائلة عن الأسرة لكون الأولى جماعة تقيم في مسكن واحد تتكون من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين ، والأولاد المتزوجين وأبنائهم وغيرهم من الأقارب كالعم أو العمة ويعيشون حياة واحدة تحت إشراف رب العائلة.

أما الأسرة فتتكون من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون في مسكن واحد.

ونضيف أن تباين العائلة عن الأسرة يكمن في ما يلي :

- أن حجم الأسرة صغير عن حجم العائلة.
- وجود الأسرة يتردد أكثر في المدينة ووجود العائلة يتردد أكثر في القرية .
- الأسرة هي الجماعة القرابية الوحيدة في مجتمع المدينة.[10]

2- القيم:

تعد القيم من المفاهيم الجوهرية في كافة ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لأنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، فهي ضرورة اجتماعية لأنها معايير وأهداف لا بدّ و أن نجدها في كل مجتمع منظم سواء كان متقدما أو متخلفا، ويضيف البعض بأن الحياة الاجتماعية يستحيل بدون القيم ولا يمكن أن يحققوا ما يريدون وما يحتجون إليه من الآخرين بغير القيم، وتلعب هذه الأخيرة دورا كبيرا في إدراك الفرد للأمور من حولـــه، وكـــذلك تصوراته للعالم المحيط به .[11]

على الرغم اهتمام المفكرين باختلاف تخصصاتهم بدراسة القيم من ثلاثينيات هذا القرن وحتى الآن فـــإن مفهوم القيم لا زال يكتنفه الغموض والخلط بينه وبين مفاهيم أخرى كالاهتمام والدافع والمعتقـــد وهـــو مـــا جعـــل **توفلر TOFFIER** يصّف القيم بالطفل الغير السعيد الذي يعاني البؤس والشقاء.[12]

ومن بين تعريفات القيم الكثيرة والمتعددة نجد تعريف **كارين أوينز** الذي ترى القيم أنها : أفكار معيارية توجه السلوك وتزوده بمعايير خارجية داخلية نحو ما يكافح الناس من أجله، وتزود السلوك بالأساس الأخلاقي ".[13]

ويعرفها **عبد اللطيف خليفة** بأنها " عبارة عن مجموعة الأحكام التي يصـــدرها الفـــرد بالتفضـــيل أو عـــدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات، وتتم هذه العملية مـــن خـــلال التفاعل بمعارفه وخبراته وبين الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله الخبرات والمعارف "[14]

ويعرف **سميث** القيم بأنها " تطلق على كل ما هو جدير باهتمام الفـــرد لاعتبـــارات ماديـــة، أو معنويـــة أو اجتماعية أو أخلاقية أو دينية أو جمالية.ً

ويعرفها **حامد زهران** بأنها " عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية، وهي مفهوم ضمني غالبا ما يعبـــر عن فعل أو الامتياز أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو أوجه النشاط ".[15]

والقيم تتضمن خاصتين هامتين هما:

- تعتبر أكثر تجريدا وعمومية ومحددة لاتجاهات الفرد واهتماماته وسلوكه.
- أنها تتسم بخاصية الوجوب أو الإلزام التي تكتسب في ضوء معايير المجتمع والإطار الحضاري الذي تنتمي إليه هذه القيم.

3- المواطنة :

إن مفهوم المواطنة تاريخيا مرتبط بالتطور الذي حدث لمفهوم دولة المدينة في العالم القديم و في روما، لـــذا فالأصل اللاتيني لكلمة مواطن قد يوضح بصورة كبيرة المقصود بكلمة مواطنة .

إن لفظة citizen و لفظة citoyen الفرنسية اشتقا من الأصل اللاتيني civitas الذي يشير إلى المـــواطن ساكن المدينة عند اليونان و الرومان قديما، أي أن فكرة المواطنة في بادئ الأمر كانت مرتبطة بشكل أساسي بمسالة

الإقامة فلفضة Citizenالانجليزية كانت غير شائعة الاستخدام خلال فترة العصور الوسطى مثلما كانت لفظة denizenو التي تعني الساكن أو القاطن و هو الأمر نفسه في اللغة الفرنسية حيث إن (الأصل اللغوي يؤيد بشكل تام إن المصطلح الفرنسي مواطن citoyenمشتق من المدينة citeأي جماعة من المواطنين يتمتعون بحقوق محددة في إطار مدينة معينة) بل إن عملية التفرقة بين من يحمل صفة المواطن و من لا يحملها ترتكز عندئذ على محل إقامة الشخص فقد كان من الشائع اعتبار ساكني المدينة مواطنين بينما الغرباء ممن يقيمون خلف أسوار المدينة يعتبرون من الرعايا .[16]

يمكن تعريف المواطنة لغة بأنها تشتق من كلمة الوطن وهو المنزل الذي يقيم فيه الإنسان ,و الجمع أوطان ويقال وطن بالمكان و أوطن به أي أقام أوطنه اتخذه وطنا و أوطن فلان ارض كذا أي اتخذها محلا و مسكنا يقيم فيه.[17]

و قد عرفت دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها علاقة بين فرد و دولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية و ما يصاحبها من مسؤوليات و تصبغ عليه حقوقا سياسية مثل حقوق الانتخاب و تولي المناصب العامة.[18]

وهناك من قدم المواطنة بوصفها حالة قانونية حيث تعطي المواطنة الأفراد حقوقا في النظام السياسي المنتمين إليه على الأقل كحق التواجد و المشاركة في المنظومة السياسية للدولة.[19]

وعرفت المواطنة في موسوعة العلوم الاجتماعية على أنها "المشاركة بالعضوية الكاملة في دولة لها حدود إقليمية و هو ما يعني إن تحديد هوية المواطن الحاصل على هذه العضوية مسالة نسبية تحددها كل دولة بحسب أوضاعها.[20]

وعرفها معجم المصطلحات السياسية على أنها "و الواقع إن وضع المواطنة يضمن للشخص الحماية التي تمنحها له قوانين الدولة و تشريعاتها و يؤدي المواطن واجبات معينة كدفع الضرائب كما انه يتمتع ببعض الامتيازات كحق المشاركة في حكم بلده , و عندما يكون المواطن خارج دولته فانه يكون تحت رعاية البعثة الدبلوماسية و القنصلية الخاصة بالدولة التي ينتمي لها.[21]

ولم تكتف إحدى موسوعات علم الاجتماع بوصف المواطنة بأنها مجموعة من الحقوق التي يحوزها الفرد و مجموعة من الواجبات التي يلتزم بها بل أوضحت إن مصطلح المواطنة يشير في العصر الحديث إلى المؤسسات و الهيئات التي تنظم هذه الحقوق في دولة الرفاهية.[22]

و عرفها إبراهيم ناصر بأنها "تمثل الانتماء إلى تراب الوطن الذي يتحدد بحدود جغرافية و يصبح كل من ينتمي إلى هذا التراب مواطنا له من الحقوق و ما يترتب على هذه المواطنة و عليه من الواجبات ما تمليه عليه ضرورات الالتزام بمعطيات هذه المواطنة .[23]

وفي القاموس السياسي المواطن يطلق عل ساكن المدينة وما يختص بالمدينة وأهلية التمتع بالوجود على أراضيها ومشاركته شؤونها، والمواطن ينظر له على انه مدني أي مقيم بالمدينة ويتمتع بالحق المدني والقيام بواجب المواطنة : الواجب السياسي والدفاع ... الخ . [24]

ثانيا : الأسرة وقيم المواطنة

سنحاول أن نتعرض إلى أهم القيم التي ترسخها الأسرة لدى الأفراد وهي كالآتي :

1-قيمة الانتماء :

يشير مفهوم الانتماء إلى الانتساب لكيان ما يكون الفرد متوحدا معه ومندمجا فيه باعتباره عضوا مقبولا و له شرف الانتساب إليه ويشعر بالأمان فيه، إن الانتماء هو شحنة وجدانية كامنة بداخل الفرد في المواقف ذات العلاقة بالوطن على مستويات و مجالات مختلفة ،يمكن الاستدلال عليها من خلال مجموعة من الظواهر السلوكية الصادرة عن الفرد . بحيث تكون الظواهر معبرة عن موقف الفرد و رؤيته تجاه ما تعرض له من مواقف سواء عبر عنها بشكل ايجابي أو سلبي.[25]

على الرغم من اختلاف الآراء حول الانتماء ما بين كونه اتجاها وشعورا و إحساسا أو كونه حاجة نفسية إلا أنها جميعا تؤكد استحالة حياة الفرد بلا انتماء ذاك الذي يبدأ مع الإنسان منذ لحظة الميلاد صغيرا بهدف إشباع حاجاته الضرورية و ينمو هذا الانتماء بنمو و نضج هذا الفرد إلى أن يصبح انتماء للمجتمع الكبير.

ولما كانت الأسرة هي أولى المؤسسات الاجتماعية التي يوجد فيها الفرد وهي التي يناط لها مسؤولية تربية وتنشئة هذا الأخير من جهة، وكما أن انتماء الفرد لوطنه لا يتأتى من فراغ أو من عدم لكونه شعورا ينمو و ينضج لديه في المراحل المبكرة من عمره من جهة أخرى فانه مما لا شك فيه إن الأسرة تحتل مكانة رفيعة في هذا الشأن.

إن حرص الوالدين على تدعيم صورة الذات عند أبنائهم و إعطائهم مزيدا من الثقة بالنفس ,و تشجيع الاستقلالية لديهم في التعامل مع الأمور بدلا من إحباطهم إلى جانب إشراكهم في حياة الأسرة عوامل محورية و فاصلة في جعل الطفل يشعر بانتمائه لأسرته و حبه لها .كما إن الطريقة التي يستمع بها الآباء لأبنائهم عندما يتحدثون تقوي شعورهم بالانتماء للوسط الأسري الذي يعيشون فيه .

إن قيمة الانتماء لدى الطفل في السنوات الأولى من حياته تمتد و تنتقل بشكل تدريجي من بيئته الأسرية إلى بيئات أخرى كالحي و البلاد التي يقيم بها لتنتقل بعدها بشكل تدريجي إلى مجتمعه ووطنه الكبير .

إن عملية ترسيخ معاني الوطنية و الانتماء داخل محيط الأسرة بالشكل الصحيح يجب أولا و قبل كل شيء أن يكون القائمون على شؤونها أكثر إدراكا ووعيا لها قبل أن تنقلها إلى الأبناء.

2-قيمة الولاء :

الولاء لغة من ولى يلي وليا دنا منه و قرب نفعه من غير فصل.

و الولاء اصطلاحا من تبع و نصر و طاع و خضع لسلطة ما(الحاكم ،القبيلة، الأب، المؤسسة) بعيدا عن المنطقية و الاستقلال الذاتي بل بقصد المصلحة ، و الولاء هو القرب و القرابة و النصرة ، و الولاء كلمة تستخدم للدلالة على الصلات و العواطف التي تربط الفرد بجماعة معينة.

و يقسم بياجيه الولاء إلى نوعين (الأحادي و المتبادل) و يمثل الولاء بالاحترام و يقول "الاحترام الأحادي هو علاقة بين قاصر وولي أمره بمعنى أن هذا الأخير ارفع من الأول مرتبة " ومن الضروري تمييز هذا النوع من الاحترام عن الاحترام المتبادل القائم على التقدير من جانب الطرفين ، فالاحترام الأحادي يولد في الطفل أخلاقية الحرية و المساواة والعدالة .

إن نظام الولاء لا يظهر في أي مجتمع إلا و يسبقه ما تفرزه التنشئة الاجتماعية للأفراد مـن علاقـات السـلطة و الهيمنة التبعية والخضوع .[26]

يمثل الولاء للوطن قيمة جوهرية تدفع بالفرد إلى تمثل هذه القيمة بشكل فعلي و تجعله يدافع عن هذا الولاء ضد أي خطر يهدده و هذا ما يقع على عاتق و مسؤولية الأسرة تعليمه لأبنائها ليصبحوا بإمكانهم أن يكونوا محبين لـوطنهم و يدافعون عنه .

إن منح الأسرة الحب و الحنان لطفلها و شعوره انّه عنصر فعال يقوي صورة الذات عنده و يعطيه المزيد من الثقة بالنفس و هو ما يقود بهذا الأخير إلى الشعور بانتمائه لأسرته و حبه وولائه لها ، وهو ما يجعله أيضا يتمثل بكـل ما تقوم به الأسرة و تطلبه منه و تعليمه إياه .

إن قيام الأسرة بشكل متكرر بالحديث مع الطفل بإنجازات هذا الوطن و الخيرات التي يقدمها للمواطنين و الأمـان الذي يمنحه لأبنائه كما تمنح الأسرة الحب و الحنان لطفلها و تدافع عنه يترك لدى الطفل اثر المحبة لهذا الوطن .[27]

انطلاقا من مكانة و حساسية قيمة الولاء عند الفرد لا سيما في سنوات حياته الأولى في محيط أسرته فلا بـدّ مـن واجب الآباء أن لا يتحدثوا مع أبنائهم في أمور و كلام غير لائق بوطنهم، و ذلك بالتركيز و الوقوف فقـط عنـد العيوب و المساوئ من وجهة نظرهم ، لان هذا يربي و ينمي فيهم قيمة الكراهية و النفور من وطنهم الذين ينتمون أليه في المستقبل ، و عليه لا بدّ من الآباء الحديث مع بنائهم أن يتركوا لديهم انطباعا حسنا و مواتيـا لـوطنهم و لمجتمعهم المنتمين إليه مما يجعلهم أكثر ولاء و ذودا عنه عند الحاجة .

إن قيمة الانتماء التي تغرسها الأسرة لدى أبنائها علاوة على تعزيز و إنماء قيمة الولاء لديهم من شانها أن تسـاعد الفرد على بلورة الشعور بالواجب الوطني و تقبل الالتزامات و يجعله يعيش فـي وطنـه بانـدماج و تفاعـل دون اغتراب أو أي صورة من صوره.

3- قيمة حرية التعبير واحترام الرأي الآخر :

انطلاقا من فكرة مفادها إن الفرد لا يمكن إن يعيش بمعزل عن بني جنسه فان ذلك يحتم عليه بناء علاقـات اجتماعية مع الآخرين ، سواء كانت في أسرته التي وجد فيها أو مع اقرأنه في الحي الذي يقيم فيه أو مع من يشكل معهم علاقات زمالة في مجال العمل أو مكان آخر ، و ببناء هذه العلاقات المتعددة الأوجه تكون لهذا الفرد فرصـة أكبر في حرية التعبير عن رأيه كما تكون له فرصة الاستماع لآراء الآخرين ممن حوله.

تمثل حرية الفكر والتعبير أهم الحريات التي يتمتع بهاالانسان في حياته العامة، فهي تعني أساسا حرية الرأي الآخر والقدرة على التعبير عنه، ومعنى دلك أن يكون لهذا الإنسان الحق في أن يفكر تفكيرا مستقلا في جميـع مـا يكتنفه من شؤون، وما يقع تحت إدراكهم ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إلى فهمه و يعبـر عنـه بمختلـف وسـائل التعبير.[28]

ويمكن القول بأن الحرية هي القدرة على اختيار ما نريد ، وفي الوقت نفسه التمتع بقدرة مماثلة على عـدم اختيار ما لا نريد ، فالشخص الحر هو الذي لا يقيده عائق إزاء ما يريد عمله ، فتشير بـذلك الفرصـة المتاحـة للارتباط بنشاط ما أو تحقيق هدف معين .[29]

إن قدرة الفرد على احترام رأي غيره و الاستماع له لا يأتي عفو الخاطر إلا من خلال محرض و فاعل ،أو من بقوم برعاية هذه القيمة و تعزيزها لاحترام رأي الآخر و الأخذ به على محمل الجد .

و على اعتبار إن الأسرة هي البوتقة الأولى التي ينشأ فيها الفرد و يتلقى في كنفها مجمل أساليب التفكير و التعامل فان نمو هذه القيمة لديه من مسؤوليتها ،فاحترام الآباء لآراء أبنائهم منذ الطفولة و الاستماع لها بساعد على تمثل الأبناء لهذه القيمة ، و كذلك إن احترام الوالدين لآراء بعضهما البعض ، و مناقشتها مناقشة هادئة و مرنة تسودها المودة و الاحترام و معبرة عن شي بدون تعصب أي طرف أو تمسكه بآرائه هذا من شأنه أن يسهم في نقل و غرس قيمة حرية التعبير مع احترام الآخرين .

و بهذا تقع على الأسرة مسؤولية عدم الاستهتار بطاقات الأطفال أو النظر إليهم نظرة ازدراء و سخرية ووجب عليها كذلك ترك لهم حرية التعبير عن أفكارهم و آرائهم حتى و لو كانت غير معبرة عن شيء واضح ، ووجب عليها الجلوس معهم لفترات طويلة للاستماع لما يدور في خاطرهم وما يجول فيها من أجل الوقوف عند طاقات أبنائها و قدراتها ، لأن ترك العنان لهم بالتعبير عن آرائهم بحرية من شأنه أيضا أن يجعل الآباء يقوّمون و يعدلون أفكار و آراء أبنائهم قبل فوات الأوان .

إن الاهتمام بالطفل في المراحل المبكرة من حياته قد تبدو لبعض الآباء من الأمور التافهة أو من الأمور التي لا زال عنها وقت أكبر إلا أنهم يغفلون تماما عند اعتقادهم بأن زمن تزويدهم هذه القيمة قد حان سيصطدمون بأفراد غير مبالين بها لأنه و بكل بساطة زمن الزرع قد مضى .

و أمام هذا يتضح لنا جليا مسؤولية الأسرة في غرس هذه القيمة لدى أبنائها لا سيما في الفترات المبكرة لأن ذلك يسهل عليهم الانتقال بها من بيئتهم الأسرية إلى مجتمعهم الذي يحيط بهم ، فكلما عززت الأسرة هذه القيمة أكثر كلما ترسخت أكثر ليعمل بها في حياته اليومية أثناء مواجهته للآخرين في الحياة العامة.

4-قيمة المسؤولية و الالتزام :

المسؤولية هي أن تؤدي العمل المطلوب منك على أكمل وجه في الوقت المحدد ، و هي تكليف و اختبار ، و المسؤولية لغة هي الأعمال التي يكون الإنسان مطالبا بها .

أما المسؤولية اصطلاحا فهي المقدرة على أن يلزم الإنسان نفسه أولا و القدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة .

كما انّه هناك من يعتبر المسؤولية حالة يكون فيها الإنسان صالحا للمؤاخذة على أعماله و ملزما بتبعاتها المختلفة .

و المسؤولية هي الإحساس بالالتزام نحو الأشياء أو الأفراد و الأفعال التي تصدر عن الإنسان ، و هي شعور مقترن بإحساس الفرد بالحرية و القدرة على اتخاذ القرار ، و بذلك فهي الشعور الذي يخلق الواجب نحو الآخر الذي هو المجتمع **فالمسؤولية** تقوم إذن على قيام الفرد بواجباته نحو الآخرين دون تذمر ، بل بشكل حر يعبر فيه عن مميزات المواطنة الصالحة .

إن هذا التعريف للمسؤولية ليس بالأمر الهين الذي يأتي نتيجة صدفة ، و ذلك لأنها تأتي نتيجة تربية و إيمان و استعداد و شعور لقيمة المسؤولية منذ الطفولة.

و على اعتبار إن الأسرة هي المكان الأول الذي ينشأ فيه الطفل و يقضي فيه أوقات أطول خاصة في هذه الفترة ، و على اعتبار إن الأسرة تشكّل نموذجا بالنسبة للطفل يقتدي من خلالها بمن يسهرون على رعايته و تربيته فان لها الدور الأكبر في تعليم و ترسيخ الأبناء تحمل المسؤولية .

إن ترسيخ قيمة المسؤولية عند الطفل ليس معناه أن يترك الوالدان أولادهم في مواجهة جميع المشكلات، بل يتجلى ترسيخها بمساعدتهم و الأخذ بيدهم في حلّها ، كما يمكن تعليم المسؤولية للطفل بإشراكه في حديث الأسـرة ، و ذلك عن طريق قيام الوالدين بلفت انتباه الطفل إلى وجوب كونه مسئولا عن كلامه، . فإذا أقر بشئ أو واجب فإن عليه تنفيذه كأن يقر بأنه سيستيقظ في الصباح الباكر أو انّه سينفذ طلبات والدته ، و ربما تكون هذه الأشياء صغيرة و لكنّها بمثابة حجر الأساس الذي يجب أن يتدرج به الأهل في تعليم الأبناء المسؤولية من أشـياء صـغيرة علـى مستوى الأسرة إلى مسؤولية أكبر على مستوى المجتمع ومن ثم الوطن بشكل عام .

إن ترسيخ الأسرة لقيمة المسؤولية لأفرادها من شأنها أن تجعلهم يلتزمون بأداء مجموعة من الواجبات تجاه مجتمعهم الذي ينتمون إليه و يترسخ بذلك لديهم مفهوم المواطنة الحقة .

5-قيمة المساواة:

تعد المساواة من أشهر المفاهيم الأخلاقية، بل إنها المطلب الأول لأي فرد في أي مجتمع، كما أنهـا شـكلت المحور الأساسي للعديد من النظريات الفلسفية قديما وحديثا، وعلى الرغم من الاختلافات الموجودة بين الثقافات في تحديد المقصود بالمساواة إلا أن هذه الأخيرة أصبحت اليوم تعبر عن الفضيلة مثل كلمة العدالة أو الحب لا يعترض عليها احد.[30]

وتعرف المساواة بأنها حالة التماثل بين الأفراد في المجتمع أمام القانون بصرف النظر عن المولد، أو الطبقة الاجتماعية، أو العقيدة الدينية أو الثروة أو الجنس أو شيء آخر .

والمساواة لا تعني أن يتساوى الناس في القدرات و الاستعدادات والإمكانات، لأن المخلوقات البشرية تختلف بتحصيلها واستيعابها و تقديم الواجبات الملقاة عليها، لكنهم يتساوون بالحقوق المعطـاة لهـم كبشـر و كمخلوقـات إنسانية، و المساواة لا تعني العمومية و لا تعني الإطلاق بل هي محددة ، و لهذا وضع القانون و وضعت الأنظمة و التعليمات التي تضبط السلوك الإنساني في المجتمع ، و جوهر المساواة هو أن يكون الناس في الأحكام عـل حـد سواء و استواء الإنسان في حقوقه مع غيره يستلزم استواءه معه في الواجبات التي تحبب للناس بعضهم البعض.[31]

إن قيمة المساواة كغيرها من القيم يتم تعليمها للفرد منذ الطفولة من خلال الأسرة باعتبارها قدوة له ، فالطفل يلاحظ كل شئ ، وهو يقلد كل شئ فعندما يشاهد الطفل الأسرة وهي تتصرف معه ومع باقي إخوته بشكل متسـاو ولا تفضل أحدهم على الآخر ، وتطلب من الطفل التصرف مع بقية أفراد العائلة بنوع من المساواة تصبح بالنسـبة إليه بمثابة قدوة حقيقية ، كما يجب على الآباء تعليم أبنائهم كيف يتصرفون مع اقرأنهم خارج محيط أسرتهم بشـكل متساو ، وأن لا يفرقوا بين غني وفقير و تعلمهم أن يلعبوا مع الجميع ليكون محبوبا بينهم بشكل دائم.[32]

إن غرس الأسرة هذه القيمة لدى أبنائها وتنميتها لدى أبنائهم و تربيتها في مراحل طفولتهم من شأنه أن يجعل هذه القيمة تكبر وتنمو معهم وتكون بمثابة مرجعية لهم أثناء تعاملاتهم واحتكاكهم مع الآخرين الذين ينتمون معهـم في نفس المجتمع.

6-قيمة التعاون و المشاركة :

إن التعاون والمشاركة هما عمليتان اجتماعيتان تقوم على التآزر والاعتماد المتبادل والعمل بروح الفريـق من أجل الإنتاج الأفضل، فالتعاون و المشاركة بين الأفراد في عمل مفيد لا في عمل ضـار يخفـف مـن الوقـت والتكلفة، وهما الأساس الذي يبني عليه الإنسان حياة إنسانية كريمة تليق به وبمكانته في المجتمع، وبغير ذلك فإنـه

يجد نفسه مطالبا وحده بأن يقوم بأعمال عديدة مما يستحيل عليه القيام بها، والمشاركة و التعاون لا يقتصران على الأعمال اليدوية إنما تتعدى ذلك إلى إبداء الرأي و المشاركة في الكثير من القرارات التي تتخذها الدولة لتكون في صالح الجميع دون تمييز لأحد .[33]

إن قيم التعاون و المشاركة تتشكل بقدر ما يبذله أبناء المجتمع من أجلها و يتعلمون معنى التعاون و التعاطف مع غيرهم .

إن للأسرة دورا هاما في غرس قيم التعاون و المشاركة الجماعية لدى أفرادها منذ الطفولة على اعتبار إنها المكان الأول الذي ينشئون و يترعرعون فيها ، فمن خلال حثّ أبنائها على التعاون في تسيير و تدبير بعض الشؤون المنزلية التي تتلاءم و تتوافق و طبيعة أعمارهم إلى جانب دعوة الطفل للمشاركة في الحياة الأسرية بآرائه و أفكاره حتى و لو كانت في أمور ضيقة و محدودة ، هذا من شأنه أن يغرس فيهم هاتين القيمتين –التعاون و المشاركة– و تنمو أكثر هذه القيمة كلما أوكلت الأسرة لأبنائها مهاما و وظائفها أكبر عند تقدمهم في السن ، كما أن هذه القيمة تترسخ أكثر كلما تواجد تعاون الوالدين فيما بينهم في الكثير من الأعمال المرتبطة بشؤون الأسرة ، لأن هذا التعاون يجعلهم بمثابة القدوة بالنسبة لأبنائهم الذين سيكبرون و تكبر معهم هذه القيمة .

إن العملية الإنمائية للمجتمع لا يمكنها أن تتحقق إلا بدعم الجماهير و مساندتها و مساهمتها الفعالة فيها لكونها ضمانها الوحيد و شرطها الأساسي ،إذ أن المشاركة الواسعة و بمختلف أشكالها تحقق الوحدة الوطنية و يكتمل الاندماج القومي و تحقق أيضا الاستجابة الايجابية للمجتمع ككل .[34]

إن ما تم ذكره من أهمية موقع المشاركة في إحداث التقدم و الرقي للمجتمع ككل لا يمكن أن يحصل إلا بتوفر أفردا يتمتعون بحسّ و شعور بالانتماء لهذا المجتمع ، و يتسلحون بقيم التعاون و المشاركة التي اكتسبوها و تدربوا عليها في محيطهم الأسري.

خاتمة

إن المواطنة الحقة التي تعبر عن وعي الفرد بالحقوق والواجبات والنظر إلى الآخر دون تعصب، وصيانة المرافق العامة، والحرص على المصلحة الوطنية، والتي تعبر أيضا عن مدى إدراك هذا الفرد لدوره في مواجهة التحديات التي تواجه المجتمع لا يمكنها أن تتأسس وتظهر من فراغ أو من العدم، بل تنتج بفعل فاعل و محرض لها.

و على اعتبار إن الأسرة هي الوسط و البيئة الأولى التي ينشأ و يترعرع فيها الفرد إلى جانب كونها من أكثر البيئات تأثيرا لهذا الأخير نبعت قيمتها و مكانتها في مجال تربيته و تنمية قيم المواطنة لديه.

إن حديثنا عن دور الأسرة بتولي هذه المسؤولية الكبيرة لا يشير بالضرورة إلى أي أسرة من أسر هذا المجتمع ، لأن المقصود من ذلك هو تلك الأسر المنسجمة المتفاعلة بين أفرادها ،وتلك الأسر الواعية لدورها ووظيفتها ولموقعه في المجتمع ، أما الأسر الأخرى التي ينتابها التفكك والتصدع ويسودها الاغتراب بين أفرادها ، ولا تعي إطلاقا بمدى مسؤوليتها ودورها في هذا المجال لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنتج لنا مفهوما يرتبط ويمت بالصلة بالمواطنة .

عندما نتحدث عن موقع الأسرة و مكانتها في بلورة وتشكيل مفهوم المواطنة لا يمكننا معه من باب الموضوعية أن نستثني ونعزل دور المجتمع وأثره في هذا الموضوع ، إذ لا يمكننا أن نتوقع أن تنتج لنا مواطنة حقيقية في ظل مجتمع تغلب و تسيطر عليه الديكتاتورية ويسوده الظلم والجور، وتطغى عليه معاني اللامساواة والتعصب والاغتراب .

ومن هذا المنطلق فإن المواطنة الحقيقية تنتج في ظل بيئات سليمة وسوية خالية من الانحرافات والاختلالات، لا سيما بيئة الأسرة التي تعتبر أهم هذه البيئات على الإطلاق، إلى جانب وجود مجتمع تسوده الديمقراطية والمساواة والحرية والعدل، لكي يحدث التناغم والتساند والتكامل بين وظيفتي لأسرة والمجتمع بأوسع معانيه في تشكيل وإنتاج المواطنة .

قائمة المراجع

1 مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ، عالم الكتب القاهرة ، 1985 ، ص 54

2 عبد القادر القصير : الأسرة المتغيرة في المجتمع المدينة العربية ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1995

3 زيدان عبد الباقي : الأسرة والطفولة ، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة العربية بمصر ، 1980 ص 06

4 سناء الخولي : الأسرة والعائلة، دار المعارف مصر.

5 محمد بدوي : المجتمع و المشكلات الاجتماعية ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ص182

6 الوحشي أحمد بيري: الأسرة والزواج ، الجامعة المفتوحة، طرابلس ، 1998،ص50

7 محمود حسن : الخدمة الاجتماعية ، الطبعة الثانية ، منشورات ذات السلاسل الكويت ص25

8 دينكن دينشيل: معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن ، الطبعة الثانية ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981، ص97

9 علي عبد الرزاق حلبي: علم الاجتماع السكان الطبعة الثانية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1983 ، ص250

10 فاروق يوسف: القيم الاجتماعية وإدراك الحقائق السياسية، مجلة النيل، العد السادس، جانفي 1981، القاهرة، ص .17

11 سمير خطاب: التنشئة السياسية والقيم، ايتراك للطباعة والنشر، مصر، ط4، 2004، ص 59، ص 60.

12 خليل عبد الرحمان المعايظة، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000، عمان، ص185

13 نبيل عبد الفتاح وآخرون: علم النفس الاجتماعي، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة، 2000، ص 227.

14 حسين عبد الحميد أحمد رشوان: في القوة والسلطة والنفوذ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر، 2007، ص .159

15 New York 1995) p 74:2_David Miller. The black Well encyclopedia of political thought (oxford .uk

16 حمدي زهران : المواطنة والمواطن في الفكر السياسي، دار الوفاء الإسكندرية، 2012، ص .63

17 ابن المنظور : لسان العرب ، الجزء6 ، مادة وطن (حرف واو) دار المعارف ، القاهرة ، 1984، ص 4868

18 The new encycl.,britannica .art :citizenship, vol 3 , p332 .

19 The routeldge dictionary of pli tics, art :citizenship,edit ,Robertson ,3 ed , London, 2004, p65

20 ميشال مان: موسوعة علوم الاجتماعية مادة المواطنة ترجمة عادل الهواري و سعد مصلوح، مكتبة الفلاح للنشر، الكويت، 1994، ص 110.

21 علي الدين هلال و آخرون : معجم المصطلحات السياسية، مركز البحوث و الدراسات السياسية، القاهرة 1994، ص 316

22 جوردن مارشيل: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد محي الدين و آخرون، ج2، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة 2001 ، ص 1411

23 ابراهيم ناصر: المواطنة، دار مكتبة الرائد العلمية، ط1 ،2003، ص 45.

24 رجب بودوس :القاموس السياسي ،الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا ، 2003 ، ص 155

25 محمد منير حجاب: المعجم الإعلامي، ط1، دار الفجر للنشر، القاهرة 2004، ص 93

26 إبراهيم ناصر مرجع سابق ص 227 230 .

27 عبد الرحمان فاضل المجيدل: دور الأسرة السورية في بناء قيم المواطنة ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التربية ،جامعة دمشق 2008 ، ص 104 .

28 علي عبد الواحد وافي : الحرية في الإسلام ، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1986، ص 91.

29 Amitony H , brich,the concepts and théories modern democracy, london,routeldge, 1993,p 95

30 عبد الرحمان فاضل مرجع سابق ص99 .

31 حمدي مهران : المواطنة والمواطن في الفكر السياسي ، دار الوفاء للطباعة ، الإسكندرية، ط1 ، 2012

32 إبراهيم ناصر مرجع سابق ص 233 .

33 عبد الرحمان فاضل مرجع سابق ص 100 101

34 عامر رمضان أبو ضاوية : التنمية السياسية في البلاد العربية ، دار الرواد ، لبنان 2002